أ. د. آسيا شكيرب

أ. د. شهْناز سُمية بن الموفق.

-جامعة الأمير عبد القادر –قسنطينة – الجزائر.

-كلية أصول الدين.

-قسم العقيدة ومقارنة الأديان.

الورقة البحثية بعنوان:

التعليم التنصيري الحديث والخطاب التفنيدي الأكاديمي– المناهج التربوية الجديدة نموذجا–

يُعد التنصير التعليمي مشروعاً بابوياً قائماً على استغلال الجهل بين الشعوب والأمم الإسلامية، معداً لغاية واحدة، هي تنصير أبناء المسلمين الذين يدرسون في تلك المؤسسات التنصيرية التعليمية([1])، فقد قال أحد المنصرين ويدعى «بنروز»: «لقد أدى البرهان إلى أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون»([2])، فإذا وجه التعليم لخدمة أهداف المنصرين كان من أقوى وسائل التأثير، لذلك استغله المنصرون أسوأ استغلال لنشر الفساد الاجتماعي في العالم الإسلامي([3])، وللقضاء على العقيدة الإسلامية، إذ يقول «هوارد بلس» رئيس الجامعة الأمريكية الأسبق في بيروت: «التعليم في مدارسنا وجامعاتنا هو الطريق الصحيح لزلزلة عقائد المسلم وانتزاعه من قبضة الإسلام»([4]).

كما وُجه التعليم التنصيري لتحقيق دعوة «زويمر» لإقناع المسلمين بأن النصارى ليسو أعداءً لهم، حيث نقل «جورج بيترز» ـ أحد المشاركين في مؤتمر «كولورادو» ـ قولاً للمنصر «أولدهام»، يؤكد فيه أهمية تسخير التعليم لتحقيق هذا الهدف، فيقول: «كما أن المدارس والكليات هي الأخرى وسائل قيمة يمكنها أن تزيل الكراهية والتحامل وتصل إلى قلوب الناس...» ([5]).

وها هو المنصر «هنري جسب» يكثر من الابتهال إلى الله ليتمكن هو وأتباعه من تعميد الشباب الذين يدرسون في المؤسسات التنصيرية، كما يذكر أن الهدف الأساس من التعليم التنصيري هو ديني روحاني، وأن دور التعليم التنصيري إن خرج عما رُسم له من قيادة الناس إلى المسيح، وجعل الشعوب تابعة للكنيسة، وأنه إن أصبح يدرِّس العلوم الحديثة كما تُدرَّس في الجامعات الغربية، فإنه يُخَرِّج أفضل العلماء في جميع التخصصات، وهذا ما لا يريده المنصرون ([6]).

ونجاح العمل التنصيري في فلسطين خاصة مرتبط بإقامة المدارس التنصيرية في اعتقاد هذا المنصر الذي يقول: إن «إقامة مدرسة هي شرط أساسي لنجاح العمل التبشيري وبواسطتها استطاعوا نشر الإنجيل في فلسطين» ([7]).

ومن هنا كان التعاون بين الاستشراق والتنصير على أشُدِّه لخدمة الأهداف التعليمية المشتركة بينهم، فتقاسما الأدوار فيما بينهما، حيث أشرف التنصير بقيادة الإرساليات، والبعثات التنصيرية المختلفة على إنشاء دور الحضانة، ورياض الأطفال، والمدارس، وهي تنتشر بيننا بأسماء أجنبية مشهورة ومعروفة، وتتقاضى أعلى المصروفات، وأما الاستشراق فقد اهتم بطلاب المرحلة الجامعية، وخاصة طلاب وطالبات الجامعات التنصيرية ([8]).

ولأهمية التعليم في صياغة فكر الناشئة، ولإنجاح مشروع التنصير من خلال التعليم، اهتم المنصرون بالأمور التالية:

أولاً ـ إنشاء رياض الأطفال:

يعتقد المنصرون أن أحسن وسيلة لتنصير المسلمين هي تعليم صغارهم؛ لما تعطيه من نتائج مثمرة، ولما للتعليم من أثر فعال، وأبرز أسباب الاهتمام بتعليم الأطفال قبل نمو عقولهم وبلوغهم سن الرشد، هو القدرة على التأثير على فطرتهم، وذلك قبل أن يتشبعوا بالتعاليم الإسلامية، وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية.

ورياض الأطفال لها ميزة أخرى هي سهولة الاتصال بأهل الطلاب من قِبل المشرفين عليهم أكثر من اتصالهم بهم في المدارس الأعلى صفوفاً، وهي وسيلة غير مباشرة للتأثير على الأهالي ([9]).

وليس أدل على النوايا السيئة لأعداء الإسلام من قول المنصر «جون موت»: «يجب أن نؤكد في جميع ميادين التبشير جانب العمل بين الصغار، وأن نجعله عمدة عملنا في البلاد الإسلامية، إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكرا جدا. وإن وجود التعليم في أيدي المسيحيين لا يزال وسيلة من أحسن الوسائل للوصول إلى المسلمين» ([10]).

ويركز «زويمر» على تنصير الأطفال من خلال كتابه: «الطفولة في العالم الإسلامي» الذي ألفه عام 1915م، ومن أهم ما جاء فيه: إن الدعوة إلى تقليد الغرب ونقل عاداته وتقاليده وأفكاره إلى البلدان الإسلامية، تساهم في ضياع الاستقلال السياسي لتلك البلدان، وأهم وسيلة لنقل تلك الأفكار والقيم والقوانين الغربية هي تعريف الناشئة في سن الانطباع على حضارة الدين النصراني، بما فيها من التقليد لما يرتديه الغرب وتزيينه في عيون الأطفال للإقبال عليه، إذ يعتبر «زويمر» أن انتشار الملابس الغربية بين المسلمين نصراً، لسبب بسيط في نظره، فمثلاً: ارتداء الأحذية والجوارب سيزيد من صعوبة الوضوء، وهذا التقليد بدوره يؤدي إلى تهيئة المسلمين لتقبل المسيحية نفسها بعد ضياع الإسلام([11]). هكذا يفكرون وهكذا يخططون.

ثانياً ـ إنشاء المدارس:

حرصت الإرساليات على إنشاء مدارس خاصة بها حرصاً كبيراً، عملاً بما يراه المنصر «جسب» من اشتراط وجود المدارس لتحقيق النجاح لعملية التنصير، حيث يقول «إن المدارس شرط أساسي لنجاح التنصير» ([12]).

فقد كان يؤرقهم وجود المؤسسات التعليمية الإسلامية التي كانت تشكل عقبة أمام نشاطاتهم مما دفعهم إلى التنبيه الدائم لخطر تلك المؤسسات، والدعوة لمواجهة التعليم الإسلامي بالتعليم النصراني([13])، فأطلقت السهام تباعاً للقضاء على إسلامية التعليم، وذلك بصبغه في المدارس الحكومية بصبغة غربية، قائمة على فصل الدين عن الحياة، وقد تحقق لهم ذلك، إذ جاء ما

يؤكد ذلك المخطط في خطابٍ للقس «صموئيل زويمر» في مؤتمر القدس الذي عقد برئاسته عام 1935م، حيث قال: «لقد قبضنا أيها الأخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة، أو التي تخضع للنفوذ المسيحي، أو التي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات، والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية. والفضل إليكم وحدكم أيها الزملاء ...» ([14])، وقد تمكن الاستعمار من الضغط على التعليم الإسلامي، وشجع على تنفيذ ذلك في فلسطين أن منصراً بريطانياً من أصل يهودي ـ يدعى «بومن» ـ تولى مسئولية التعليم في فلسطين إبان الاحتلال البريطاني، وكذلك الأمر في معظم الدول الإسلامية ([15]).

وفعلاً تم التركيز على إعطاء التاريخ الغربي بكل تفاصيله ودقائقه النصيب الأكبر من المناهج، وذلك على حساب التاريخ الإسلامي، كما تم تقليص حصص الدروس الدينية، ومساواة حصص اللغة الإنجليزية بحصص اللغة العربية، لاعتقاد المنصرين بأن نشر التعليم الإنجليزي يجعل «الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمراً صعباً جداً» ([16])، وهذا ما يقوله المنصر «تاكلي» ([17]).

وفي المقابل عمل المنصرون على الإكثار من إنشاء مؤسساتهم التعليمية في فلسطين، وغيرها من دول العالم الإسلامي، لأنها وسيلتهم للاتصال بالناس، وطريقهم لدعوتهم إلى مذاهبهم على اختلافها ([18]).

وقد تم تزويد تلك المدارس بالقسيسين والرهبان وذوي الخبرة بما تنطوي عليه النفس العربية والإسلامية، حيث تظاهر هؤلاء الخبراء بدراسة مشاكل الشبابالمختلفة، لينفذوا إلى نفوسهم لجذبهم إلى مذاهبهم المختلفة، فهم يُسخرون العلم لتحقيق مآربهم، ويهتمون به لأجل مصالحهم ([19]).

كما يرى المنصرون أن التعليم النصراني في تلك المدارس ما هو إلا وسيلة لقيادة الناس إلى المسيح، وأن تعليمهم ليس له غاية إلا لجعلهم نصارى، أفراداً، وشعوباً ([20]).

ويولي المنصرون اهتماماً خاصاً بإنشاء مدارس داخلية للبنات، نظراً لما يكون في تلك المدارس من فرص أقوى للتأثير عليهن، كما أنهم لم يهملوا إنشاء المدارس العادية لهن.

وحاول المنصرون التركيز على الفتيات المسلمات، فعملوا على اجتذابهن إلى مدارسهم بكل وسيلة، لأن الفتيات أقصر طريق لتفريغ قلب المسلمين من الإيمان، لما تملكه الفتاة من المقدرة على التأثير فيمن حولها ([21])، ولأن مدارس البنات من وجهة نظر المنصرين «تتولى عنهم مهمة تحويل المجتمع الإسلامي، وسلخه من مقومات دينه» ([22]).

وقد اشتهرت من بين تلك المدارس في فلسطين، مدرسة بنات نابلس الأهلية، والتي تدار بأموال الفاتيكان تحت إشراف هيئة تنصيرية، وتُقبِل الفتيات المسلمات على الدراسة فيها بنسبة عالية، وكان يتم التهجم على الإسلام وعادات المسلمين من قِبَل المدَرِّسات في تلك المدرسة بشتى الوسائل، مثل انتقاد دفن الموتى بالأكفان الرخيصة، وعدم استعمال التوابيت، وكذلك التهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم في تلك المدرسة، وغيرها، من خلال طعنٍ مدروس، فقد وُصف مثلاً بأنه لم

يفعل شيئاً يستحق عليه الذكر، وأنه اقتبس الإسلام من اليهودية، والنصرانية، وأنه كان راعياً مزواجاً، وغير ذلك مما كان، ولا يزال يثار ضد الإسلام من شبهات، ومطاعن([23]).

وبصورة عامة فقد اهتمت إدارة المؤسسات التعليمية باختيار أفضل المواقع لمدارسها وسائر المؤسسات، كما قامت بدعمها مالياً، فاحتلت أهم المناطق وأجملها في دول العالم الإسلامي، وامتلكت مباني فخمة، وتمكنت من إدارتها وفق نظم تربوية تعليمية متطورة جعلت أبناء المسلمين يُقْدِمون على الالتحاق بها، والدراسة على مقاعدها لما يجدونه فيها من تميزٍ عن المدارس الحكومية والمحلية ([24]).

وتُخَرِّجُ هذه المدارس أعداداً كبيرة نسبياً من طلاب المسلمين، قد تربوا تربية غربية أو أمريكية، تؤهلهم للوصول إلى مراكز قيادية مؤثرة في مجالات أعمالهم ([25])، وهم يحملون علوماً غربية صورت لهم الدين الإسلامي مجرد عقيدة شخصية لا علاقة لها بالحياة الإنسانية، كما صورت العبادات التي هي فرائض وواجبات ـ على أنها تقاليد العصور المظلمة وأنها رجعية ولا فائدة منها في الوقت الراهن. كما أكسبت تلك المدارس خريجيها من أبناء المسلمين مبادئ تتناقض مع تعاليم الإسلام في جميع المجالات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والأخلاقية، مما أفقدهم القدرة على التمييز والنقد البناء، وجعلهم يعتبرون أن كل ما تعلموه هو مقياس الصحة والصواب، وانتقدوا الإسلام بهذا المقياس الناقص، والقاصر، لدرجة أنهم كلما وجدوا اختلافاً مع الغرب حَمَّلوا الإسلام ما ليس فيه، وحرفوا مبادئه واستبدلوها بما تعلموه من مبادئ غربية، وظنوا أن التقدم، والرقي، ومسايرة النهضة الحديثة لن يكون إلا عن طريق اتباعالغرب، وأصبح متعارفاً بينهم أن كل ما يعرض عليهم من أوروبا، أو أمريكا هو ثقة، ومعتمد، وكل ما يعرض عليهم من القرآن والسنة، أو العلوم الإسلامية، فلا بد من إثباته بالحجة، والبرهان، والدليل([26]).

هذه ثمرات التعليم النصراني وهي «إخراج أجيال متنكرة لدينها، ولأمتها، ولأوطانها، تابعة للغرب، متشبثة بذيول الحضارة الأوروبية وبريق ألوانها بما فيها من انحلال وفوضى خلقية وسلوكية، دون الأخذ بعوامل النهضة المادية الحقيقية»([27])، ولو نشأت تلك الأجيال في غير هذا الوسط الاستعماري التنصيري، ولو تعلمت في مدارس إسلامية لما أصيبت فلسطين بنكبتها، ولما شرد أهلها الآمنون إلى مختلف بقاع الأرض([28])، لذلك تحرص الأمم الغربية ذات السيادة والقوة ـ والتي تعرف خطورة ذلك ـ على عدم السماح بإنشاء مدارس أجنبية في بلادها حتى للدول التي ترتبط معها بأقوى الروابط، فإنجلترا مثلاً لا يوجد فيها مدارس أمريكية، وفرنسا كذلك، حتى دولة الكيان الصهيوني فإنها لا تسمح لأية جهة أجنبية بإنشاء أية مدرسة أجنبية فيها([29]).

ثالثاً ـ إنشاء الجامعات:

تقوم بعثات التعليم العالي التنصيرية التي تفد إلى دول العالم الإسلامي عامةً بإنشاء الكليات، والمعاهد العليا، في المجتمع المسلم، كالجامعة الأمريكية، والجامعة الفرنسية([30])، ففي فلسطين يوجد فرع للجامعة الأمريكية في جنين، كما قامت البعثةالبابوية من أجل فلسطين ـ والتي أنشئت من قِبَل البابا «بيوس الثاني عشر» عام 1949م بهدف مساعدة اللاجئين الفلسطينيين ـ باتخاذ قرارٍ بإنشاء جامعة بيت لحم، وكان ذلك بعد زيارة البابا «بولس السادس» إلى الأراضي المقدسة عام1964م، بهدف منع زيادة الانهيار بين الجماعات والطوائف النصرانية المختلفة، وللاهتمام بأمر التعليم في فلسطين،

وقد عقدت اللجنة المقدسة للكنائس الشرقية برئاسة البابا اتفاقاً مع «أخوة المدارس المسيحية Brothers of Christian Schools»، لتقوم بإدارة جامعة بيت لحم التي افتتحت في شهر أكتوبر عام 1973م، وكان الهدف المنشود من إقامة هذه الجامعة هو الاعتناء بالصفوة هناك لتخريج قادة في جميع مجالات الحياة العامة والخاصة والدينية، إضافة إلى تعزيز الحضور النصراني في الأراضي المقدسة، ولتكون دليلاً على اهتمام الكرسي الرسولي البابوي بالناس بصورة عامة وبالشباب بصورة خاصة([31]).

والاعتناء بالصفوة كما يرى المنصرون ما هو إلا تسريب للآراء النصرانية من خلال الصفوة هذه إلى المجتمع المسلم بتلقائية، وذلك لفشلهم في نشر تلك الآراء بالقوة، ولقلة عدد من صرفوهم عن الإسلام، وبذلك يتسنى للمنصرين التأثير على الجيل الناشئ في البلاد الإسلامية، وخاصة قادة الرأي من أبناء المسلمين الذين يُتوقع لهم أن يشغلوا المناصب العليا ذات التأثير الفعال في جميع المجالات ثقافياً وأدبياً، وسياسياً، وإدارياً، ودينياً، ثم تحاط هذه المجموعة بهالة إعلامية وتوجه إلى المقدمة لتتولى مهمة القيادة فيما بعد.

ويعلن بعض المؤسسين لتلك الجامعات والكليات بصراحة عن غاياتهم الحقيقية من تأسيسها، وهي أنها وجدت لـ «تُعلِّم الحقائق الكبرى التي في التوراة وأن تكون مركزاً للنور المسيحي وللتأثير المسيحي» ([32])، وليس رغبة في نشر التعليم والأخلاق، ولا يخفى أن بث مثل تلك المعتقدات النصرانية من خلال التعليم الجامعي له الأثر السيئ في صد المسلم عن دينه، وتفكيك الوحدة الإسلامية ليسهل احتواء المجتمع والسيطرة عليه ([33]).

كما يبرر المنصرون جعلهم الإنجيل من المواد الأساسية للتعليم في الجامعة الأمريكية أنها «كلية مسيحية، أسست بأموال شعب مسيحي... ليوجدوا تعليماً يكون الإنجيل من مواده، فتعرض منافع الدين المسيحي على كل تلميذ... وهكذا نجد أنفسنا ملزمين بأن نفرض الحقيقة المسيحية على كل تلميذ... وإن كل طالب يدخل إلى مؤسساتنا يجب أن يعرف مسبقاً ماذا يطلب منه» ([34]).

ومع كل ما بُذل من جهود للتنصير من خلال الجامعات، إلا أن المنصرين قد فشلوا في إفساد المسلمين بالقدر الذي يريدونه، ولكنهم استطاعوا أن يبعدوهم عن دينهم ولو قليلاً، مع صبغهم بشيءٍ من الأخلاق النصرانية ([35]).

ولا يزال موضوع الجامعات يشغل بال المنصرين، وأحدث ما طرح من مخططات في هذا المجال ما دعا إليه «بروس نيكولاس» . الذي يعمل مع اللجنة اللاهوتية للرابطة التنصيرية العالمية . من البحث عن طلاب نصارى ناجحين يستطيعون أن يلتحقوا بمختلف الجامعات الإسلامية، والارتباط بدراسة حقيقية فيها، ولكن عليهم أن يقوموا بجانب دراستهم الأكاديمية بالشهادة للمسيح أي التنصير في تلك الجامعات الإسلامية([36])، وقد حاول أحد المنصرين ويدعى «جورج» والذي كان قد التحق بالجامعة الإسلامية بغزة ببرنامج الوسائط المتعددة أن يمارس التنصير بين طلاب الجامعة، علاوة على أنه أراد أن يجعل مشروع التخرج المقرر عليه بحثاً يتناول فيه بالدراسة الشهادة للمسيح، بمعنى تعريف العقيدة النصرانية، وعرضها من خلال بحثه، ولكن هذا البحث لم ينل الموافقة عليه إلا بعد حذف كل ما يعارض العقيدة الإسلامية من صلب ونحو ذلك، وبذلك لم يكمل مشروعه التنصيري الذي أراد أن ينشره من خلال الجامعة الإسلامية.

رابعاً ـ المناهج المدرسية:

شجع الإقبال المتزايد من قبل أبناء المسلمين على الالتحاق بالمؤسسات التعليمية التنصيرية على استمرار المدارس النصرانية في تقديم تعاليمها، وعلى تشويه صورة الإسلام وتقبيحه([37])، فقد كانت تلك المدارس في فلسطين في بداية تأسيسها ترفض الالتزام بالمناهج الرسمية، حتى لا تصبح مثل المدارس الحكومية فتفقد صفتها التنصيرية، ويصبح لا غاية من وجودها([38])، أما الآن فمع مرور الزمن لم تتمكن تلك المدارس من تحقيق ذلك الهدف كما يعترف بذلك كبارهم، حيث يقول سير «ريدر بولارد» ـ الذي كان سفيراً لبريطانيا في إيران منذ عام 1939م حتى عام 1946م ـ : «إن كثيراً من المسلمين يقدرون أعمال الجمعيات التبشيرية في التعليم والتطبيب، ولكنهم يصمون آذانهم عن دعوتها الدينية»([39])، ولهذا السبب أصبحت مهمة تلك المدارس أن تغرس في نفوس الطلاب كل ما يثير في نفوسهم الإعجاب بحضارة الغرب عبر العديد من الأساليب، من خلال المنصرين والمنصرات، والمعلمين والمعلمات، ومن خلال المناهج الدراسية، أو الأنشطة الفنية اللاأخلاقية، والتي تعتمد على الاختلاط بين طلاب وطالبات تلك المدارس، من تمثيل، وغناء، وأناشيد، ورقص، وحفلات، ونحو ذلك([40])، وتعتمد المدارس التنصيرية على الكتب الغربية التي كتبت بأقلام حاقدة على الإسلام، وتتناول الموضوعات العلمانية، وتحمل بين طياتها الآراء النصرانية([41])، كما تحاول المدارس التنصيرية من خلال مناهجها الشفوية تهيئة جوٍ نصراني للطلاب، وتحملهم على ممارسة التقوى النصرانية والسلوك النصراني وخاصة إذا كانوا أطفالاً، حتى ينشأ هذا الطالب وتنشأ معه فلسفة نصرانية للحياة، وترسخ في قلبه العقيدة النصرانية([42]). يقول «دانبي» أحد المنصرين: «كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية (في نفوس الطلاب)»([43])، وذلك بعدما عُهد إليه في مؤتمر «القدس التنصيري» ـ المنعقد عام 1935م بإشراف فرع فلسطين من لجنة التعليم للمجلس التنصيري المتحد ـ بوضع كتاب توجيهي يتضمن ما وصل إليه المؤتمر من الملاحظات، فكانت هذه من ضمن ملاحظاته([44]).

كما تسعى المدارس التنصيرية الخاضعة للإشراف الحكومي في البلاد الإسلامية إلى تجنب إدخال أي شيء في المنهج الرسمي للمدرسة، واعتماد طريقة بث الأفكار التنصيرية بواسطة الأنشطة اللاصفية، وكذلك عن طريق العلاقات الشخصية ([45]).

كذلك رياض الأطفال تبذل كل ما في وسعها لغرس مبادئ النصرانية في قلوب الأطفال بعدة وسائل مختلفة، منها تفضيل عيسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك بعرض وعاءين أمام الأطفال، الأول يكتب عليه اسم محمد، والثاني اسم عيسى، ويطلب من الطفل القيام بفتح كل وعاء، فيجد الطفل وعاء محمد صلى الله عليه وسلم فارغاً، ووعاء عيسى عليه السلام مملوءاً بكل ما يحب ويشتهي، ثم يطرح عليهم بعد ذلك السؤال الخبيث هل تحبون محمداً؟ إنه لا يعطيكم شيء.. هل تحبون عيسى؟ فهو يعطيكم كل ما تحبون ([46])، ونحو ذلك من الوسائل التي تعتمد على المقارنة السطحية بين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

ومن ضمن وثائق جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وثيقة مرسلة إلى رئيس المجلس الشرعي الإسلامي ـ الجمعية المركزية للأمر بالمعروف والنهي عنالمنكر بتاريخ نيسان 1936م، حملت هذه الوثيقة شكوى من وجود مدرسة تبشيرية في غزة تعلم الأطفال كراهية الدين الإسلامي، وتلقنهم هذه العقيدة الباطلة ([47]).

وجاء في وثيقة أخرى بتاريخ 17/ 12/ 1354هـ الموافق 11/ 3/ 1936م، أن المعلمات في مدرسة المستشفى الإنجليزي بغزة تلقن الطلاب في المدرسة مثل هذه الأمور مثل (عيسى أحسن من محمد) وتعلمهم رسم الصليب بأصابعهم ونحو ذلك ([48]).

كما يفرض على المدرسين في المدارس التنصيرية من قبل القائمين عليها تدريس كل ما فيه شبهات ومغالطات على الإسلام، ووجوب تحذير التلاميذ المسلمين منها كما يجب عليهم استغلال العلم بطرق خبيثة، حيث استخدموه كوسيلة لنشر الفساد الأخلاقي، والاجتماعي في العالم([49])، ومن الكتب التي تضمنت التهجم على الإسلام، وكانت تدرس في الشرق والغرب لتشويه صورة الإسلام، كتاب بعنوان «البحث عن الدين الحقيقي»، وهو محاضرات في التعليم الديني مؤلفه «المنسنيور كولي»، صدر عن اتحاد مؤسسات التعليم النصراني في باريس طبعة 1928م، وقد جاء في صفحة: 220 من ذلك الكتاب: «الإسلام . في القرن السابع (للميلاد) برز في الشرق عدو جديد، ذلك هو الإسلام الذي أسس على القوة وقام على أشد أنواع التعصب. لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يَهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات. وبعد قليل أصبحت آسية الصغرى وأفريقيا وأسبانيا فريسة له، حتى إن إيطالية هددها بالخطر. وتناول الاجتياح نصف فرنسا. لقد أصيبت المدنية ولكن هياج هؤلاء الأشياع (المسلمين) تناول في الأكثر كلاب النصارى... ولكن انظر، ها هي النصرانية تضع بسيف شارل مارتل سداً في وجه سير الإسلام المنتصر عند بواتيه (752م). ثم تعمل الحروب الصليبية في مدى قرنين تقريباً (1099 . 1254م) في سبيل الدين فتدجج أوروبا بالسلاح وتنجي النصرانية، وهكذا تقهقرت قوة الهلال أمام راية الصليب وانتصر الإنجيل على القرآن وعلى ما فيه من قوانين الأخلاق السهلة...» ([50]).

هذا من الكتب التي تؤلف في الغرب عن الشرق بكل ما تحمله من تعصب وحقد وتشويه للحقائق، والأدهى من ذلك أنها تدرس في الشرق المسلم، ومن المدارس التي كانت تعتمد هذا الكتاب ضمن مناهجها المدارس التابعة لرهبنة الفرير في فلسطين، وغيرها من الدول ([51]).

ومن هذه الكتب أيضاً كتاب بعنوان «تاريخ محاضرات ج. إيزاك»، حررها «أ. ألبا» للشرق الأدنى لطلبة الصف الخامس، يتناول تاريخ العصور الوسطى، وطبع في مطابع الآداب الفرنسية في بيروت، ومما جاء في هذا الكتاب في صفحة: 31: «واتفق لمحمد في أثناء رحلاته أن يعرف شيئاً قليلاً من عقائد اليهود والنصارى. ولما أشرف على الأربعين أخذت تتراءى له رؤى أقنعته بأن الله اختاره رسولاً.«

وجاء في صفحة: 32: ((القرآن مجموع ملاحظات كان تلاميذه يدونونها بينما كان هو يتكلم، وقد أمر أتباعه أن يحملوا العالم كله على الإسلام بالسيف إذا اقتضت الضرورة)).

وفي صفحة: 126: «ودخلت فلسطين في سلطان الكفرة منذ القرن السابع للميلاد» ([52])، وقد كان هذا الكتاب يدرس في مدارس البطريركية ([53]).

ومن الكتب التي كانت تدرس في مدارس القديس يوسف للبنات في فلسطين؛ كتابٌ يتناول تاريخ فرنسا وهو معدٌ ليدرس لصفوف الشهادة الابتدائية، قام بتأليفه «هـ. غبرمان»، و «ف. لوستير»، ومما جاء في هذا الكتاب عن النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم: «إن محمد مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يخضعوا العالم، وأن يبدلوا دينه هو بجميع الأديان، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى، إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة، وقالوا للناس: أسلموا أو موتوا بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس بيدهم وإحسانهم، ماذا كان حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا، إذن لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين»([54])، وغير ذلك من الكتب التي شملت التهجم على الإسلام، ونبي الإسلام([55].[

وهكذا يُدّرِّس المنصرون مثل هذه الكتب في مدارسهم لأبناء المسلمين، ثم يزعمون أنهم جاءوا للتعليم والتهذيب.

كما يلحق بتلك الكتب كتب الخلافات التي تتضمن ردوداً على الإسلام، واعتراضات على عقائده وتاريخه، والقسم الأول من هذه الكتب يقصد بها الطلابعلى مقاعد الدراسة، والقسم الثاني منها للقراء عامة ([56].[

ومن الخطط المستقبلية التي أُعلن عنها مؤخراً في مؤتمر «كوالالمبور» الذي اختتم أعماله يوم الخميس بتاريخ 10/ 5/ 2001م تطبيق برنامج «محو الأمية والتنصير»، هذا ما عرضته منظمة «الزمالة التنصيرية الدولية» ضمن رسالة تشتمل على آخر تطورات هذا البرنامج، وذلك ضمن ملف وزعته على الأعضاء المشاركين، خلاصة هذه الرسالة أن المنصر إذا عرف أشخاصاً يريدون تعلم القراءة في منطقة عمله فإن لدى منظمة الزمالة برنامج لمحو الأمية بمحتويات إنجيلية، تعين الطالب على تعلم القراءةوالكتابة، وقراءة فقرات من الإنجيل من الأحرف الأولى، كلٌ بلغة بلده، فالهدف من هذا البرنامج محو الأمية للتمكن من قراءة الكتاب المقدس([57].[

وقد كان المنصرون يكلفون المدرسين الذين يعملون في مؤسساتهم بأن يقسموا يميناً بأن يوجهوا جميع أعمالهم نحو هدف واحد وهو التنصير، فكان المدرسون لا يألون جهداً في تنفيذ ذلك حتى في الدروس التي لا علاقة بينها وبين الدين، فيعملون على تذكير الطلاب بالمبادئ النصرانية وتحسينها وتحبيبها إليهم، مقابل الطعن بالإسلام، والتنفير منه، وذلك تطبيقاً لما جاء ضمن قرارات مؤتمر «القدس التنصيري» المنعقد عام 1935م في القدس، والذي يقضي باستغلال كل درس في سبيل تأويل نصراني لمختلف أقسام العلوم حتى علم النبات، والتاريخ، وكذلك دروس اللغة الإنجليزية كانت تستغل في ترجمة أجزاء من الكتاب المقدس إلى اللغة العربية([58].[

ومع ذلك فلم يتمكن المنصرون من إفساد المسلمين بالقدر الذي تمنوه، لذلك قنعوا بإبعادهم قدر الإمكان عن الدين الإسلامي ([59].[

ومن هنا تتكشف حقيقة التنصير التعليمي، ومهمة المؤسسات التعليمية، وهي تخريج طبقة جديدة من الناس غير متمسكة بالنصرانية، وغير محافظة على الإسلام، طبقة تنسلخ من تراثها الديني، والأخلاقي، ولا تطبق تراث غيرها، طبقة أصبح منهاج حياتها غريباً دينياً، وأخلاقياً، وثقافياً، واجتماعياً، وهي غير متمسكة بالإسلام، كما أنها لا تنجذب نحو النصرانية بل تنساق نحو العلمانية، والإلحاد، والانحلال، في الدين، والخلق، والتفلت من كل القيم، والأخلاق ([60].[

خامساً . **المناهج الجامعية:**

تعتمد الجامعات التنصيرية في مناهجها على استغلال الكتب الموضوعة من قِبَل المستشرقين للتهجم على الإسلام والمسلمين، والكتب التي اشتملت على اعتراضات على الإسلام وعقائده وتاريخه([61])، كما تساعد البعثات التعليمية الوافدة إلى الدول الإسلامية في وضع المناهج التربوية لبعض المراحل الدراسية العليا، وتساهم أيضاً في عمليات التخطيط للتعليم العالي، وقد تسبب الاستعمار الذي أضعف المؤسسات العلمية، والتعليمية الإسلامية في البلاد الإسلامية في إعانة المنصرين على فرض مناهجهم تلك، لتكون بديلاً عن المناهج الإسلامية([62].([

كما لم يغفل المنصرون أهمية عقد الندوات العلمية، والمحاضرات في مختلف الجامعات، واهتموا بإصدار نشرات، وكتب تستهدف الإسلام، والمسلمين تمتلئ بالسموم، والمطاعن على الإسلام، وتاريخ الإسلام ([63].([

سادساً . الكتب الثقافية:

يعتبر المنصرون أن نشر الكتب التنصيرية هو نشر للفكر النصراني دون مناقشة وجدل، أو تسبب في إحداث خصومات مباشرة، كما أن نشر تلك الكتب هو أكثر فائدة من نشر الفكر، والعلم النصراني عن طريق المجادلة، والمناظرة، فإلقاؤها هكذا بين يدي القارئ هو أعم نفعاً من وجهة نظر المنصرين، وأجلب للمحبة التي هي آلة المنصر، والتي لها وقع كبير على القلوب ([64].([

ويستغل المنصرون أحياناً الأشخاص الذين تحولوا إلى النصرانية، أو النصارى الذين يعيشون في بلاد المسلمين من حيث قدرتهم على فهم العقلية الإسلامية، الأمر الذي يجعلهم أكثر قدرة على عرض أفكار المنصرين المطلوب نشرها بواسطة كتاباتهم بشكل أفضل ([65].([

كما يحاول المنصرون استغلال وجود بعض التشابه الظاهري في بعض المسميات بين القرآن وما يقولونه، فمثلاً عندما يسمي القرآن الكريم عيسى عليه السلام كلمة الله، والتي تعني أن الله ألقى كلمته، وهي أمره ليولد المسيح عليه السلام بهذه الصورة المعجزة، فإن المنصرين يستغلون ذلك ويفسرون الكلمة بأنها دليل على ألوهية عيسى عليه السلام والعياذ بالله([66].([

ويتم التركيز على توجيه الكتب إلى طبقتين من المسلمين، وهما طلبة العلوم الشرعية لتكون مراجع للبحوث الدينية التي يكتبها هؤلاء الطلبة بكل ما فيها من سموم، ولا يمكن لإنسان أن يشك في مقاصدهم إلا إذا كان يعرفهم، والطبقة الثانية هي طبقة النساء لإفسادهن ([67])، ومع ذلك فلا يهمل المنصرون بقية القراء، وفيما يلي بعض الكتب النصرانية التي تسوق على أنها كتب ثقافية، وما هي إلا كتب تنصيرية:

1 . الطريق إلى السلام بحسب الكتاب المقدس:

هذا الكتاب من تأليف «هلموت هاردر» وهو بروفيسور لاهوت في كلية «المانونايت الكندية للكتاب المقدس»، قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية «بسام إلياس بنورة»، وهو يعمل محاضراً في كلية«بيت لحم للكتاب المقدس»، والكتاب يقع في 51 صفحة، وهو عبارة عن دراسة توصل من خلالها المؤلف إلى أن اللاعنف هو جزء من انجيل المسيح، وأن طريق المحبة فقط

هي الطريق النصرانية، وأنها كذلك طريق السلام، ثم يتبع هذا العرض أسئلة للمناقشة والدراسة، تدور حول وظيفة الكنيسة ودورها في إحلال السلام في العالم، محلياً، ودولياً، وعالمياً، وأيضاً دور الإنجيل في توضيح معنى السلام، والأسئلة مذيلة بنصائح إرشادية منها:

»ابدأ جوابك بالقطع المقتبسة من الكتاب المقدس المذكورة في هذا الكتيب ثم انظر إلى قراءات أخرى من الكتاب المقدس« ([68].

2 . الكتاب المقدس هو كلمة الله:

وهو من تأليف «جون جلكرايست»، من منشورات «نور الحياة . استراليا»، ويقع الكتاب في 64 صفحة، ويتضمن هذا الكتاب رداً على كتاب «أحمد ديدات» أشهر المدافعين عن الدين الإسلامي أمام المنصرين، ويستخدم المؤلف الآيات القرآنية في غير محلها للاستدلال على أقواله التي حشدها في هذا الكتاب، ولم يكتف بذلك، بل ألحق بالكتاب مسابقة يدعو القارئ لحلها بعد التعمق في قراءة الكتاب المقدس، مقابل جوائز هي عبارة عن كتب روحية نصرانية، ترسل لمن أجاب على الأسئلة، ومن هذه الأسئلة:

»اكتب آيتين قرآنيتين تبرهنان أن التوراة والإنجيل لم يتحرفا واكتب شاهديهما.

لماذا أمر عثمان بإحراق كل نسخ القرآن ما عدا نسخته هو؟

كيف توفق بين سلسلة نسب المسيح في إنجيلي متى ولوقا ([69])؟

ثم يذكر عنوان المراسلة الذي يمكن إرسال إجابة المسابقة عليه.

وهكذا فإن هذا الكتاب يطعن مؤلفه من خلاله بصحة القرآن الكريم، وبصحة سنده مقابل إثبات صحة الكتاب المقدس، وتراجمه، وعدم تحريفه.

3 . أسئلة يطرحها المسلمون تحتاج إلى أجوبة:

هذا الكتاب من تأليف «دل كنغز رايتر»، صورة الغلاف لهذا الكتاب عبارة عن مسجد، وفي الصفحة الأخيرة عنوان للمراسلة للحصول على معلومات إضافية، يقع هذا الكتاب في 36 صفحة، ويرد فيه مؤلفه على تساؤلات المسلمين حول الثالوث، والصلب والخطيئة، وروح القدس، بردود تبدو لديه قوية، وهي واهية ضعيفة، ومن خلال ردوده هذه يدعو القارئ إلى دراسة أسفار معينة من الكتاب المقدس حتى يتضح له المعنى، كما يدعو المسلمين إلى تأمل نشاط وأسلوب حياة المخلصين من أتباع المسيح، ويدعوهم إلى قراءة كتب معينة، وأيضاً يدعوهم إلى الحوار مع النصارى من أجل التفاهم والتقارب([70].

4 . مجادلة الأنباجرجي الراهب السمعاني مع ثلاثة شيوخ من فقهاء المسلمين بحضرة الأمير مشمر الأيوبي:

عني بمقابلتها وتحريرها أحد الرهبان المرسلين الكاثوليك في أفريقيا، وهيقصة مختلقة تصور مدى قوة راهب نصراني واحد في حجته، وإقناعه لثلاثة فقهاء وأميرهم، وأن النتيجة لهذه المجادلة هي اقتناع الأمير برأيه وتقريبه منه وإفحامه للفقهاء الثلاثة، ويقع هذا الكتاب في 110 صفحة ([71].[

5 . سأبقى معكم:

ويشتمل على تعاليم القديس «متى»، مضافاً إليه أسئلة بعد كل فصل، وهو من تأليف «ميشال عويط»([72].[

6 . نظرات مسيحية معاصرة:

من تأليف «لويس أبي عتمة»، الذي حاول من خلاله استعراض جميع الحلول الملحدة وغير النصرانية لحل مشكلة الألم، والشر، والحرب في العالم بإيجاز، ثم تطرق إلى الحلول النصرانية، وقدم لها دراسة تفصيلية، لأنها في نظره هي الطريق الجديدة السعيدة ([73])، ويقع هذا الكتاب في نحو مائتي صفحة.

7 . المعلم سيرة عيسى المسيح:

وهو من تأليف «يحيى البولاقي»، ويروي فيه قصة المسيح ومعجزاته بأسلوب جذاب يقنع القارئ بصحتها ([74])، ولقد حصلت الباحثة على هذا الكتاب من معرض للكتاب أقيم على أرض الجامعة الإسلامية قبل عامين([75])، ويقع هذا الكتاب في مائتي صفحة.

قائمة المراجع الورقية التي اطلعنا عليها:

-أ. ل. شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي . لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب ومساعد

اليافي . بيروت مكتبة أسامة بن زيد، د. ت، ١٠٩ص.

-إبراهيم الزين صغيرون، " لمحات تاريخية عن انتشار الإسلام في أوغندا " . مجلة كلية العلوم الاجتماعية " جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) . ع٦) ١٤٠٢هـ ص ١٧ – ٢٩

- إبراهيم السليمان الجبهان: ما يجب أن يعرفه المسلم من حقائق عن النصرانية والتبشير . الرياض: الرئاسة

العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ . ١١٢ص.

-إبراهيم عكاشة علي. التبشير النصراني في جنوب السودان وادي النيل . القاهرة: دار العلوم ١٩٨٢م..

-إبراهيم عكاشة علي: " علم التبشير، مناهجه وتطبيقاته " مجلة كلية العلوم

الاجتماعية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) . ع٥) ١٤٠١هـ . ١٩٨١م(. ص ١٢٥ – ١٥٠

-إبراهيم عكاشة علي:ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي . الرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م . ١٧٦ص.

-أبو هلال الأندونيسي: غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا . ط٤ . جدة: دار الشروق، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م، . ١٩١ص.

-أحمد حمود المعمري: التنصير مفهومه وأهدافه ووسائله وسبل مواجهته

-عمان وشرق إفريقية: ترجمة محمد أمين عبد الله . عمان: وزارة التراث القومي والثقافة (١٩٨٠م) . ١٦٠ص.

-أحمد شلبي: الحروب الصليبية: بدؤها مع مطلع الإسلام واستمرارها حتى الآن؛ عرض للهجمات الصليبية الغربية على العالم الإسلامي عبر العصور . القاهرة: مكتبة النهضة المصرية (١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م) . ٢٢٤ص.

- أحمد شلبي: مقارنة الأديان: ٢ - المسيحية . ط٦ - القاهرة: مكتبة هنضة مصر، ١٩٨٢م

-أحمد عبد الوهاب: التغريب: طوفان من الغرب . القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٤١١هـ .

-أحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر . القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠١هـ . ١٩٨١ م . ٢٢٤ص.

-أسعد عبد الرحمن: المنظمة الصهيونية العالمية ١٨٨٢. ١٩٨٢. ط٢ . بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠م . -إسماعيل مظهر: " تاريخ تطور الفكر العربي بالترجمة والنقل من الثقافة اليونانية

-توفيق سلطان اليوزبكي: تاريخ أهل الذمة في العراق (١٢ - ٢٤٧هـ) الرياض: دار العلوم، ١٤٠٣هـ

- جلال العالم: قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله

-حسن مكي محمد أحمد: التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة . الخرطوم: الدار الوطنية للطباعة والنشر ١٩٨٢م . ٢٣ص.

خالد البسام، معد ومترجم. صدمة الاحتكاك: حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية ١٩٢٥م بيروت: دار الساقي ١٩٩٨ ص ٢٠٣ .